طعن فى حكم الحب

فوضى كاملة وظلام، ارتطام، ساق تتقدم ساقا، تحسست نقاط ومواضع، لامست يدى زر النور، يوم آخر ينتهى بى للمكان، عقب وصولى مباشرة وثب الهاتف، أعرف انها تتحدث دائما فى ذات التوقيت.

تولى جهاز الرد الآلى المهمة، ارتفع صفيرهُ ومن ورائه صوتها يصرخ بعصبية شديدة: أنت اذن لا تقدر تضحياتى وتعتبرنى (بايرة) ورامية نفسى عليك، طيب حتشوف؟، ارتطام آخر صك أسماعي، خاطرت بالاقتراب منه وإعادة شريط الرسائل المسجلة، وقد تركت لى عددا آخر كبيرًا قبل رسالتها الأخيرة، تذكرت عددا آخر من نصائح الأقارب والأصدقاء ألا أقترب منها، تستاهل ادفع ثمن غبائك واندفاعك نحوها، سوف تضغط على أعصابك من الآن ولشهور قادمة، كانت دائما كابوسا، لم أبذل ضدها ما يستحق من المقاومة، فضلت أن أهرب من الساحة، أغلق كل وسائل الاتصال، ذلك يمنعها حتما من حشد قواها، لن تطولني، نعم سوف أظل هاربا لشهور طوال، أطول من تلك المدة التى اختفى فيها خطيبها السابق صحيح أن موضوعنا لم يصل إلى إجراءات الارتباط الرسمى مجرد كلام وجس نبض، إلا إنه

لم يمنعها من أن تعتبره كما لو كان كتب كتاب، لو كنت أعرف.. آه لو.. لا فائدة، تلمست طريقى حتى السرير وسرعان ما غرقت فى كوابيس جديدة تماما.

❖❖❖

يمتلك بلورة سحرية، يمكنك أن تشاهد فيها صفاء السماء وغروب الشمس وزرقة البحر، لم أصارحه بأن عينيه تأسرانى بشدة، أحس بأننى أتطلع فيهما بجرأة من له الحق فى الإطلال على روحه من خلالهما، سمح لى دونما مساءلة، مثلى لا يريد إفساد متعته، ما يبثه هذا من غرور فى كيانه وهو يرانى تابعة مقتفية أثر خطواته، أثر نظراته وكأنى لا أريد أن يتحول عنى لحظة، أعترف بأننى أجرأ منه فى التعبير عن مشاعرى لكننى لست ماهرة مثله فى جذب الآخرين إلى جانبي، تعارفنا جاء بسيطا وأحسبه عفويا تماما، جو خريفى مثالي، قدم نفسه قبل أحد الاجتماعات فى المؤسسة التى أعمل بها، جاء مسلحا بإحصائيات وخرائط للأسواق وخطط تباهيت بأننى مهندسة التصميمات فقال: أعمل مع هشام أبو الغضب، طفح الاندهاش على وجهى فأسرع يوضح: هشام أخو المهندس هانى مدير ادارة الشركة، أطلقت عليه هذا الاسم لأنه لا ينفك يغضب على كل وأى شيء، ابتسمت فى جفاء وأنا أردد: جرأة تحسد عليها، عقب بتحد: إنها كذلك فعلا؟ ابتعدت، لم يعجبني، لا طريقته ولا معابثاته التى تصل لدرجة الاستخفاف

بمديريه، لكنه نجح فى تشتيت تركيزى فى عملى لصالح أن أتابع ما يقوم به، كان قد استحوذ على جميع من فى صالة الاجتماع، يدعى أنه عليم بحركة السوق، كيف يتم ترويض العملاء، ويجعل من موضوعات الماركت فى خانة الإثارة رغم جفاف بحوث التسويق والأرقام، أصبح هشام مديره المباشر مؤيدا ومناصرا لاقتراحاته بحماس، صديقان يغطى كل منهما الاخر، أظن إننى انبهرت وقتها، حسن هذا نظرتى إليه، بدا مناسبا لفتاة مثلي، عرفت طريق إدارة المبيعات والمنافذ ومعارض الشركة فى القاهرة والمحافظات، أصبحنا نخرج معا، أخترع مبررات لالتصاقى به فى العمل وبعد انتهائه، تغير طعم الدنيا، نظرت فإذا اليوم كئيبا إذا لم ألتقيه، الدقائق ساعات والأيام دهور إذا سافر وبعد، مضت الأيام مسرعة لتقارب العام وانتهزت أول فرصة تالية لكلام مباشر فى سبيل عرض واضح، فى أثناء عشاء هادىء قال: رائع ذلك الثوب، ماذا فعلت كى يكون هكذا، يتملقنى بشدة أو قد حان الوقت :كنت قلقة ألا يعجبك، فالكم قصير ويصف الذراعين، أسرع بالمقاطعة ـــ: لكنه يخفى الصدر والسيقان وهذا هو المهم، ارتسم تعبير على وجهى دهشة وامتعاضا، أكمل: أعنى أنه جميل ويصد لصوص النظر، أدرك ويعجبنى ذوقك الراقى فى الاختيار، ها قد بدأ يتصنع المديح، عباراته تخرج مضطربة وباهتة وتغيرت ملامح وجهه، سارعت بانتهاز الفرصة: كنت قلقة ولكن لماذا أقلق تعابير الاستفسار لاحت على وجهينا وهو يردد عبارة القلق ذاتها، تراجعت يده الممدودة عبر

الطاولة وتحركت أقدامه تحتها، هززت رأسى مرات: ما بيننا قد أصبح حالة تستدعى العلاج، حوارات تليفونية لا تنقطع ليلاً أو نهارًا، شكل العلاقة بيننا يضايقني، يضغط حتى فى أحلامي، حلمت أننى أقبض على رقبتك بكلتا يدي، ضحك: لا يزعجك هذا فهو فأل حسن، حين تتعلق فتاة برقبة حبيبها فهى إشارة لارتباطهما.

ما عدت أدرى إن كان يتهكم ليخفى مفاجأته بهجومى أم هو جاد ونيته تنصرف إلي، قلت فى نفسى لقد اقتربت من مما أريد.

❖❖❖

آملاً ألا يراه النائمون، تخفى النور وصعد رويدا حتى قمة سطح البرج المقام على رقعة ربوة فى ارتفاع التل السامق، قادمون من مسافة، سنفطرُ معًا، استقبلنا نباح كلب صغير، بالكاد يعرفنا لو أن ذاكرته تحتفظ بلعبنا معه وبه كان يرمح وراء السيارة وهى تقترب من المنزل، ليس منزلا، انها أرض وحديقة ودواراً بسعة القصر، لا يربون كتيبة كلاب، مجرد عجرود أبيض نادر المثال يضيف وجاهة طبقية على ابنتهم شودي، كان ينتظرنا على أطراف السلم تخطاه حتى وصل لمكان إيقاف السيارة وما هى إلا لحظات حتى احتوانا التراس والترحاب الحار، سارعت بالقفز حين أطلت، تنتظر قدومنا بالتأكيد تفاصيل كثيرة تغيرت لا تخفى عن عين مراهق يلتقى برفيقة صباه، تصنعت الوقار وهى تميل مقبلة أمي،

أختى الأصغر، لاحقتها عبارات صرت كبيرة الآن، لا أنكر، جو البلد بيكبر قبل الآوان، ألن نلعب؟!، صيحة استنكار: ولد؟! يضحك عم هشام ويقذف بكلمة: يشبهك، تتدخل أسماء الصغيرة: أنت لن تلعب معنا؟ قاطعها: ليس اليوم، من باكر أما اليوم فمسموح باللعب حتى مطلع الفجر، لم أكن أريد أكثر من ذلك، سرعان ما احتوتنا المروج حتى الغروب، هذا آخر عهدى بتفاصيل حياة الأولاد، انتصف الليل ودارت الألعاب وانتهت، صاحت فى لحظة انتصار والنوم يداعب جفون أسماء، لا نوم حتى يحين صباح اليوم التالي، تمطعت بتثاقل وقالت: أنا باص، التصريح لـ تامر لا يشملني، الآن أود أن أنام (بحركة صبيانية) سوف نفتقدك كثيرا يا أخي؟ تساءلت شودي: بجد، إذن ستفوتك حكاية زواج أمك من أبيك فقد أوشك ألا يتزوجها وأبى هو الذي...، تصبحى على خير اسمعيها من تامر فيما بعد، تنبه كلانا، انخرطنا فى محايلات حتى بدأت القصة.

❖❖❖

كى تخرج كتابا من رف مكتبته عليك بإخراج آخر، ربما وضعته المصادفة على يمين أو يسار الذى شد أنظارك عنوانه، لمع ببريق الافكار وحين انتزعته وتخلخل من مكمنه وكأنه حجر ينفصل عن جبل كان لا يزال الرف والصف متماسكا، غلاف أنيق فاخر التجليد، عنوان مثير للخيال، المؤلف؟ غريبة إنه اسم والدى تامر صالح، سنوات الألف حكاية، طالعت العناوين، التواريخ، يسرد

قصة حياته، صوت نداء يتكرر مكتوما فى بادئ الأمر ثم مرتفعا وهو يحث الخطى نحو باب المكتبة، ساعدتنى خفة الحركة والأركان المظلمة وتعاريج ومنحنيات الجوانب على التخفي، أطلت وكل شيء هاديء تماما، كما تركها قبل الرحيل، تحافظ عليها نظيفة من الغبار، ولولا ذلك لعرفت باقتحامى المكان، قررت أنه من المستحيل التخلى عن كنزى فذكرياتى عنه لم تتعد صورته الباسمة فى بواكير الطفولة وعددا قليلا من صور الألبوم اتخذ الكتاب موضعه بين حنايا الصدر، أحكمت عليه حزام الترننج وتحركت بخفة مغادرا مغارة الأسرار، أخفى عنها تحدر الدموع كلما انتهيت من قصة له، لحظاته بين الترح والفرح، عاش سنواته متفائلا قادرا على إشاعة الحب فيمن حوله، بقيت قصة، قصة واحدة وينتهى الكتاب؟! أرجأتها حتى يحين الميعاد.